شرح قصيدة روائع الاثار

تعدُّ قصيدة روائع الآثار أو قصيدة همَّ فجر الحياة بالإدبار من القصائد الشهيرة للشاعر خليل مطران، وقد أدرجت في بعض المناهج الدراسية في الدول العربية، وهي من القصائد الطويلة ويبلغ عدد أبياتها 59 بيتًا، وقد نظمها الشاعر على البحر الخفيف وقافية الراء المكسورة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أبيات قصيدة روائع الآثار:

هَمَّ فَجْرُ الحَيَاةِ بِالإِدْبَارِ
فَإِذَا مَرَّ فَهْيَ فِي الآثَارِ
إِيهِ آثَارَ بَعْلَبَكَّ سَلاَمٌ
بَعْدَ طولِ النَّوَى وَبُعْدِ المَزَارِ
ذَكَرِينِي طُفُولَتِي وَأَعِيدِي
رَسْمَ عَهْدٍ عَنْ أَعْيُنِي مُتَوَارِي

يبدأ الشاعر قصيدته بحكمة بليغة عن الحياة ومرور السنوات عليها، حيث يقول أنَّ الحضارات وحياة العصور الأولى قد همَّت بالإدبار، وعندما تمرُّ عليها العصور تظل منها الآثار التي تدل عليها فقط، ويناجي الشاعر بعدها آثار بعلبك في لبنان ويلقي عليها السلام بعد فراق طويل وغياب أعقبته زيارة لرؤية هذه الآثار العظيمة، وقد طلب منها أن تذكره بطفولته وأن ترسم له عهدًا بعيدًا مضى أصبح متخفيًا وغائبًا عن ناظريه.

خَرِبٌ حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهَا
فِتْنَةُ السَّامِعِينَ وَالنُّظَّارِ
مُعْجِزَاتٌ مِنَ البِنَاءِ كِبَارٌ
لأُنَاسٍ مِلْءَ الزَّمَانِ كِبَارِ

إنَّ الآثار الباقية من تلك الحضارات عبارة عن خرائب متناثرة وهي ما بقي من تهدُّم الأبنية العظيمة، ولكن هذه الخرائب قد حار الناس بها وبحسنها وإتقانها، وقد أصبحت محطَّ إعجاب تسحر المشاهدين بجمالها، وهي عبارة عن معجزات كبيرة جدًا وعظمية أقيمت على أيدي أناس سوف يبقون كبارًا وعظماء أبد الدهر.

زَادَهَا الشَّيْبُ حُرْمَةً وَجَلاَلاً
تَوَّجَتْهَا بِهِ يَدُ الأَعْصَارِ
مِثْلَ القَوْمُ كُلَّ شَيءٍ عَجِيبٍ
فِيهِ تَمْثِيلُ حِكْمَةٍ وَاقْتِدَارِ

لقد أضفت آثار الهرم والقِدَم على هذه الآثار هيبةً وعظمةً كبيرة وشموخًا، وقد أصبحت كثرة العصور التي مرت عليها تاج عزة فوقها، وقد استطاع أجدادنا الذين سكنوا هذه البلاد وبنوا هذه الآثار والقلاع العظيمة أن يثبتوا حكمتهم وعظمتهم ودرجة الفن والإبداع التي وصلوا إليها.

صَنَعُوا مِنْ جَمَادِهِ ثَمَراً يُجْنَى
وَلَكِنْ بِالعَقْلِ وَالأَبْصَارِ
وَضُرُوباً مِنْ كُلِّ زَهْرٍ أَنِيقٍ
لَمْ تَفُتْهَا نَضَارَةُ الأَزْهَارِ
وَشُمُوساً مُضِيئَةً وَشِعَاعاً
بَاهِرَاتٍ لَكِنَّهَا مِنْ حِجَارِ

فقد استطاعوا أن يصنعوا من الحجارة والجمادات آثارًا وكأنها ثمارًا يمكن جنيها وقطافها ولكن فقط يتم جنيها بالعقل بعد النظر إليها، كما أنَّهم أبدعوا فيها أشكالاً من الأزهار الجميلة والأنيقة والتي لم تغب عنها نضارة الأزهار الحقيقية، كما أنهم استطاعوا أن ينحتوا شموسًا وكأنها تضيء على الناس وتبهر أنظارهم ولكنها شموس من حجارة.

وَأُسُوداً يُخْشَى النُّحُوزُ مِنْهَا
وَيَرُوعُ السُّكُوتُ كَالتَّزْآرِ
عَابِسَاتِ الوُجُوهِ غَيْرَ غِضَابٍ
بَادِيَاتِ الأَنْيَابِ غَيْرَ ضَوَارِي

وقد استطاعو أن ينحتوا أيضًا أسودًا متأهبةً للانقضاض على فرائسها وكأنها أسود حقيقية، وقد يخشى الناظر إليها بسبب إتقان صنعها، كما أنَّ السكوت الذي يضفي جلالة ومهابة على المكان يخيف الناس مثل زئير الأسود، وهذه الأسود وجوهها عابسة رغم أنها لا تغضب كونها من حجارة، وتظهر أنيابها للناس ولكنها ليست مفترسة.

تِلْكَ آيَاتُهُمْ وَمَا بَرِحَتْ فِي
كُلِّ آنٍ رَوَائِعَ الزُّوَّارِ

ضَمَّهَا كُلَّهَا بَدِيعُ نِظَامٍ
دَقَّ حَتَّى كَأَنَّهَا فِي انْتِثَارِ
فِي مَقَامٍ لِلحُسْنِ يُعْبَدُ بَعْدَ
العَقْلِ فِيهِ وَالعَقْلُ بَعْدَ البَارِي

وهذه الآثار الباقية هي الإنجازات العظيمة وعماراتهم وأبنيتهم باقية أبد الدهر حتى تسر الزوار على مر العصور بإبداعها وحسنها، فقد ضمَّ تلك الآثار نظام متقن وبديع ومنثور بطريقة عظيمة، وقد جعل كل ذلك هذه الآثار الخالدة تقدَّس بعد تقديس العقل الذي أبدعها، وكلاهما يقدسان بعد تقديس الخالق جل وعلا الذي أبدع العقل والإنسان وكل شيء.

الصور الفنية في قصيدة روائع الآثار

وردت في قصيدة روائع الآثار كثير من الصور الفنية والبلاغية والتي تضفي على القصيدة جمالًا يزيد القصيدة قبولًا في نفوس القراء، وكثيرًا ما تستخدم هذه الصور من تشبيهات وكنايات في الشعر العربي، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في قصيدة روائع الآثار:

استعارة تصريحية

وردت الاستعارة التصريحية في قول الشاعر: زَادَهَا الشَّيْبُ حُرْمَةً وَجَلالاً تَوَّجَتْهَا بِهِ يَدُ الأَعْصَارِ، لقد شبَّه الشاعر في هذا التركيب القِدَم وآثار آلاف السنوات التي مرت عليها بالشيب، فحذف المشبَّه وهو العلامات التي تدل على القدَم وذكر المشبَّه به وهو الشيب وصرَّح عنه، ولذلك تسمَّى هذه الصورة البلاغية بالاستعارة التصريحية،

استعارة مكنية

وردت الاستعارة المكنية وفي قول الشاعر: تَوَّجَتْهَا بِهِ يَدُ الأَعْصَارِ، حيث شبَّه الأعصار بالإنسان فحذف الإنسان وهو المشبَّه به في الجملة وأبقى على أحد صفاته أو لوزمه وهي اليد، وأبقى على الأعصار وهي الأزمان والسنوات، وهذه استعارة مكنية.

أسلوب الكناية

يستخدم أسلوب الكناية عند استخدام إحدى الألفاظ أو الجمل في غير المعنى الأصلي الذي وضعت له، ومن ذلك قول الشاعر في البيت الأول: هَمَّ فَجْرُ الحَيَاةِ بِالإِدْبَارِ فَإِذَا مَرَّ فِهْيَ فِي الآثَارِ، وردت الكناية في البداية، فقد ذكر الشاعر فجر الحياة وأراد الحضارات والعصور الأولى والتي أوشكت أن تزول ولا يدلُّ عليها سوى آثارها.

أسلوب الطباق

ورد أسلوب الطباق في أكثر من موضع في القصيدة كما في قوله: إِيهِ آثَارَ بَعْلَبَكَّ سَلامٌ بَعْدَ طولِ النَّوَى وَبُعْدِ المَزَارِ، حيث ورد الطباق في النوى والمزار، فالنوى هو البعد والفراق، والمزار تدل على العودة والرجوع إلى المكان.

أسلوب التوكيد

استخدم الشاعر أسلوب التوكيد في أكثر من موضع، ومن هذا قوله: ضَمَّهَا كُلَّهَا بَدِيعُ نِظَامٍ دَقَّ حَتَّى كَأَنَّهَا فِي انْتِثَارِ، حيث جاء التوكيد هنا من نوع التوكيد المعنوي والذي يكون باستخدام واحدة من أدوات التوكيد وجاءت هنا "كل" في قوله: ضمَّها كلها.

الأفكار العامة في قصيدة روائع الآثار

من دون شك توجد بعض الأفكار العامة التي تسيطر على القصيدة والتي يرغب الشاعر بإيصالها إلى القراء، وتطلّب هذه الأفكار من أجل معرفة معنى القصيدة العام، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الأفكار في قصيدة روائع الآثار للشاعر خليل مطران:

- استذكار آثار بعلبك والعودة إليها بعد غياب طويل من قبَل الشاعر، وقد طلب منها أن تذكره طفولته التي كانت هي جزءًا منه.
- تعظيم آثار بعلبك والحديث عن مدى عظمتها وحسنها وسحرها.
- من الأفكار أيضًا الحديث عن عظمة الأقوام السابقين الذي أبدعوا هذه الآثار وتركوها خلفهم تدل على عظيم إتقانهم وصنعهم وإبداعهم.
- ذكر الآثار الجليلة والتي تبدو أقرب إلى الحقيقة، وقد يظنها الناظر للوهلة الأولى حقيقة ولكنها مجرد منحوتات حجرية.
- إنَ هذه الآثار باقية أبد الدهر تفتن الناظرين إليها والزوار من جميع أنحاء العالم.

شرح مفردات قصيدة روائع الآثار

قد يجد بعض الأشخاص صعوبة في فهم معاني بعض المفردات في القصيدة وقد يجدونها غامضة بعض الشيء، حيث أنَّ كثير من الكلمات التي تستخدم في الشعر لا تستخدم في الحياة العادية، لأنَّ اللهجات العربية العامية تختلف بشكل كبير عن اللغة العربية الفصحى والتي تستخدم في كتابة الشعر والأدب العربي عمومًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات في قصيدة روائع الآثار:

المفردة	شرح المفردة
النوى	البعد والفراق
المزار	الزيارة والعودة
متواري	متخفٍ ومختبئ
خرب	بقايا الأبنية المهدمة
النظار	المتفرجون والمشاهدون
الأعصار	جمع عصر وهي الأزمان
التحفُّز	التجهز والتهيؤ للانقضاض
التزآر	الزئير وهو صوت الأسد
ما برحت	باقية وما زالت
فتنة	مثار إعجاب شديد
آياتهم	عجائبهم وأعمالهم العظيمة
باهرات	مضيئات ومشرقات